

3- الترجمة - النص والحمولة المعرفية:

إن الترجمة فعل حضاري يعكس تلاحقاً ثقافياً بين نمطين من المستويات الفكرية للنشاط الإنساني، ويعكس أيضاً رغبة أكيدة للاستفادة من التجارب الإنسانية ومحاولة نقلها إلى اللغة الأم للمجتمع من دون المساس بروح النص، وفي الوقت نفسه مراعاة خصوصية اللغة المنقول إليها النص.

وتعدّ الترجمة أيضاً عملية نقل المدلولات من لغة إلى أخرى، إنها عملية عبور للمفاهيم والأفكار بوساطة الدوال الخاصة باللغة المنقول إليها. ويكتنف هذا الفعل عن عوامل تحفيزية تتبع من عدم استقلالية الثقافات والتي تقوم على التفاعل وتبادل التأثير لإثراء التجربة الإنسانية، فالحضارات تبنى بالتراكم.

ومع هذا كله، فإنّ هذا الفعل المتواصل غير المنقطع يطرح إشكالاتاً يتعلق بالحمولة المعرفية للنص المنقول منه، والتي تعكس المستوى الفكري الذي وصل إليه المجتمع الناطق بهذه اللغة، ويتعلق هذا بخصوصية كل نص عن نص آخر، وخصوصية اللغة قياساً إلى مستواها المعياري ومستواها الاستعمالي (الوصفي).

ولو أخذنا اللغة العربية نموذجاً لذلك؛ فإنها تمتلك أبعاداً ثلاثية المستوى، فهناك المستوى التقليدي (النصوص القديمة) والمستوى الحديث (النصوص الإبداعية) ثم المستوى اليومي. وإذا كانت هذه المستويات هي ميزات إيجابية تدلّ على أصالة هذه اللغة واستمرارها كل هذه القرون؛ فإنها في الوقت ذاته عناصر مثبّطة تشدّ المترجم وتمنعه من التحرر والسفر البعيد عبر النصوص ليحقق وجوده. إنها قيود قد تنزل النص إلى مستوى غير مستواه.

إنّ كل نص يرتبط بسياق معرفي خاص به، ويصبح أمر نقله إلى لغة أخرى محفوفاً بالمخاطر، فالتقرب من نص لجوليا كريستيفا، على سبيل المثال، يطرح أكثر من صعوبة؛ لأن هذه الباحثة نموذج للتلاحق الثقافي الإنساني، ولذلك يحتاج قارئ هذا النص إلى حمولة معرفية حتى يتمكن من مفاتيح النص وعليه أن يتزوّد بأدوات إجرائية أكثر نضجاً ورقياً.